دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

| | |
|---|---|
| العنوان: | الفكر السياسي في لبنان : توصيفات و مصطلح |
| المصدر: | الفكر العربي |
| الناشر: | معهد الإنماء العربي |
| المؤلف الرئيسي: | عساف، ساسين |
| المجلد/العدد: | مج 14, ع 71 |
| محكمة: | نعم |
| التاريخ الميلادي: | 1993 |
| الشهر: | مارس |
| الصفحات: | 70 - 76 |
| رقم MD: | 433681 |
| نوع المحتوى: | بحوث ومقالات |
| قواعد المعلومات: | HumanIndex |
| مواضيع: | المبادرة السياسية، الفكر السياسي، لبنان، العقلانية، الاستباقية، الإقناع، المسؤولية الساسية، التسامح السياسي |
| رابط: | http://search.mandumah.com/Record/433681 |

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

# الفكر السياسي في لبنان، توصيفات ومصطلح

ساسين عساف(*)

الفكر السياسي والايديولوجيا يشدّهما رباط عضوي، بانتفاء الواحد ينتفي الآخر، فكلاهما يعبّر أو يكاد عن مضامين واحدة. الاختلاف هو في الدرجة، أي في درجة الاقتراب من التجريد والفهم في مستوى الاجمال والكلّ:

يقترب الأفهومان من المدلول عينه إذا كانا على درجة واحدة من الفهم «الكلياني» Totalitaire.

في لبنان أعتقد أن الحديث عن فكر سياسي هو أقرب إلى الحقيقة الوصفية منه عن ايديولوجيا.. توصيفات الفكر السياسي في لبنان تحول دون اعتباره فكراً ايديولوجياً. من تلك التوصيفات أنّه من غوارق التفاصيل الصغيرة والجزئية وهو دون التجريد فهماً وتعبيراً وهو عاجزٌ عن قراءة الكلّ في الجزء والجوهر في العرض والأساس في المظهر والعام في الخاص والخافي في الطافي.. قراءته لا تتعدّى المرئيّ في تفاصيله وإن تَعَدّته فلكي يقع هذا الفكر في مأزق أشدّ هولاً وهو «الأسطورة». بين «مرئية» تافهة ومسطّحة و«أسطورية» مُفْرِقة في اللاواقعية يتحرّك الفكر السياسي في لبنان، وهذا مناف لتحرّك الايديولوجيا. من واقعيته المسطّحةِ مَثَلاً ألّا يَجِدَ في «حربٍ بين قوتين» سوى صراعٍ على نفوذ سياسي ومالي.. ومن «أسطوريته» ألّا يجدَ في حربٍ لبنان سوى لُعْبةٍ دَوْليةٍ تَنْتَظِمُها أو تُنَظِمّها خطوطٌ حمر.

وهذا هو فِكْرٌ مُفْرِقٌ في التسطيح والأُسْطورةِ حتى الضياع والعجزِ المطلقِ عن استجماعِ الشروطِ اللازمةِ لِلتكوُّنِ الايديولوجي كالربط والتحليل والتعليل والتجريد والاستراتيجيا..

ومن تلك التوصيفاتِ، كذلك، أنّ الفكر السياسي في لبنان وعلى امتداد تاريخه السياسي المعاصر (1920 - 1992) شَهِدَ محاولاتِ «عَقْلَنَة»، أي محاولاتِ الاقترابِ به من العقلانية وشَهِدَ محاولاتِ «مَنْهَجَةِ» الممارسةِ السياسيةِ أي محاولاتِ الاقتراب بها من «العِلْمية»؛ وهي محاولاتٌ، في الواقع، تبغي تحويلَ الفكر والممارسةِ إلى ايديولوجيا، لأنّ العقلانيةَ

(*) عميد كلية الآداب والعلوم الانسانية في الجامعة اللبنانية.

والعلميةَ هما من لوازمها وشروطِها الأساسية. . إن هذه المحاولات على أهميتها، وعلى ضرورةِ التمسّكِ بها وتعزيزِ موقعها، لم تشكّل، حتى اليوم، الثِقْلَ الذي يسمحُ بِوَسْمها الخطَّ المتقدّمَ في بيان الفكر السياسي في لبنان. . الخطُّ المتقدّم، على نقيض ما نرغب، فَرَضَتْه مدرسةٌ سياسيةٌ امتهنت الارتجالَ واعتادت مخاطبةَ غرائزِ الناس واللَّعِبَ على مشاعرهم العصبيةِ والدينيةِ وَغَذَّتْهُ في سنوات الحرب مفردات سياسية تقيم في الذاكرة الغيبية وتتحرّك في الأزمنة الصعبة لتبتعد به عن طبيعته العقلانية ومنهجيته العلمية:

أين اليمين واليسار؟ أين الرجعي والتقدّمي؟ أين المحافظ والثوري؟ أين الانعزالي والوحدوي؟ أين الصهيوني والعروبي؟ أين العميل والوطني؟ لقد حلّت، وبسهولة، محلّ هذه المفردات الايديولوجية مفرداتٌ من طبيعة أخرى:

قوى مسيحية ومجتمع مسيحي، قوى إسلامية وحالٌ إسلامية. . روابط وهيئات ومجالس شيعية ودرزية ومارونية وسنية وأرثوذوكسية وكاثوليكية وأرمنية. . وأقليّات كردية وآشورية وسريانية وكلدانية. . واسماعيلية وعلوية. . وسواها. .

هذه الصيغ تجعل الفكر السياسي في لبنان فكراً سكولائياً (مدرسياً) طائفياً يسيّره القدر الطائفي وترعاه العناية الطائفية وباتت الطائفية معه مصدر السلوك السياسي ومعياره. . وكلّ كمال السياسة متجسّدٌ في «القيادة الطائفية»، وهي غير المراجع الدينية والروحية التي نحترم دورها في قيادة الروح والأخلاق. و«القيادة الطائفية» تدّعي أنها من «أهل الدعوة والاصطفاء»!! أما مصدر الشرّ السياسي فهو خطيئة العقل والعلم والاجتهاد!! فعالية العقل هوى آثم لأنّها وسيلة تحرّر فهي تُسْقِطُ عن الإنسان «طائفيته». . والفضيلة في السلوك السياسي السكولائي هي أن يبقى الإنسان «عبداً طائفياً» وأن تبقى الجماعة مجموعة «أرقام طائفية» معدومة الإرادة والفعل مستكنّة مسلوبة الوعي والحسّ والإدراك. .

الفكر السياسي في لبنان مصابٌ بخدرٍ طائفي ومذهبي مرعب وبه لم يعد فكراً إيديولوجياً بل صار فكراً دوغماتياً. . الدوغماتية هي، كذلك، من توصيفات الفكر السياسي في لبنان. بين الفكر الدوغماتي والفكر الايديولوجي اختلافٌ في الطبيعة والسلوك:

فالايديولوجيا هي مجموعة أفكار تختصُّ بمجتمعٍ ما أو بجماعة معينة، وهي من طبيعةٍ اجتماعية ـ تاريخانية، كثيراً ما تعبّر عن ذاتها في مذهب سياسي أو اجتماعي، وهي متبدّلةٌ ومتحرّكة.

في حين إنّ الدوغماتية هي يقينٌ مُسْبَقٌ ومُبْرَم، يميل أصحابُه إلى إثباته بلا مناقشة، وهي من طبيعة غيبية، وكثيراً ما تعبّرُ عن ذاتها في مذهب إيماني وهي ثابتةٌ وساكنة.

الايديولوجيا تحتمل النقديةَ؛ والفكرُ النقدي يُؤَمِّنُ لها دينامية التبدُّلِ والتغيير والصيغَ اللازمة.

الدوغماتية تتعارضُ مع الشكّ والتساؤل، وهما أساسُ الفكر النقدي، وهي، فلسفياً، تعني فلسفةَ القرون الوسطى القائمةَ على سلطة العقدية (Dogmatisme).

الايديولوجيا تَحْتَضِنُ الرَّيبيّةَ. وفي الحياة العمليةِ (السلوك) تُثْبِتُ أنّ المعرفة تنتمي إلى عالم الحسِ والمشاهدةِ والتجريب.

الدوغماتية إملاءٌ مغلق، وفي الحياة العملية (السلوك) تُسَلِّم بأن المعرفةَ تَتَحَدّرَ من أصلٍ غيبي.

الفكر السياسي الايديولوجي يعتبر أن الحقيقة الموضوعية هي القاعدةُ والمسلكُ والغاية. الثورةُ المشروطةُ بتبدّل الحقائقِ والوقائع هي العنصرُ الأهم في سلوك الايديولوجيين. الفكر الايديولوجي فكر ثوري. وتغييري. . .

الفكر السياسي الدوغماتي يعتبر أن الحقيقة الإيمانية (الذاتية) هي القاعدةُ والمسلكُ والغاية. السكون أو الركون المشروط بهدأة تلك الحقيقة وصفائِها هو العنصر الأهم في سلوك الدوغماتيين.

الفكر الدوغماتي فِكْرُ تَقَبُّلٍ وتَشَكُّل وتسليم.

الايديولوجيا تَبَصُّرٌ وتَحَقُّق. أساسها موضوعي.

الدوغماتية تسليمٌ وايمان. أساسها ذاتي.

السلوك الايديولوجي ينطلق من الموضوع إلى الذات.

السلوك الدوغماتي ينطلق من الذات إلى الموضوع.

الأوّلُ يحترمُ قوانينَ تطوّرِ الحقائقِ التاريخيةِ ويتشكّلُ، ذاتياً، وفقاً لاستدعاءاتِ تطوّرِها..

الثاني قُوَّةٌ إلزاميّةٌ تستمد قوّتَها من إيمان غيبي متحكّمٍ، أصلاً، بقوانينِ التطوّر.

وعليه، فالفكر السياسي في لبنان فِكْرٌ دوغماتي يَدَّعي العصمةَ والسُّلطة المطلقة في الأفكار والعقائد، وقد تجلّى هذا الإدّعاء على أَشُدّه في أثناءِ الحرب، في سلوكه الفاشي، التسلّطي والإكراهي.. هذا النوعُ من الفكر يستندُ في تسويغ سُلْطَتِه إلى نشاطه التاريخي المتحكّم بقوانين التطوّر. هنا التاريخ يتحوّل إلى قوّة قهر وإكراه... إلى إلزامٍ وجبرية.. وانسداد.

بالمقابل، إنّ الفكر الايديولوجي يستندُ في تسويغ سلطته إلى نشاطِه اليومي الذي يرافق، باتزانٍ ومرونة، التطوّرَ الطبيعي في طبيعة الوقائع والأحداث. هنا التاريخ يتحوّلُ إلى قوّةِ دَفْعٍ وتحريكٍ وإثارة.. إلى خيار وحرّية.. واجتهاد..

الفكر السياسي الدوغماتي يدعو الناسَ إلى الزهدِ بالسياسة وإلى تخلّي الناسِ عن طموحِهم وذاتِهم وكينونتِهم السياسية، وهو يدعوهم، تالياً، إلى الانصياع التام لقيادات «ممسوحة» بها مسّ من قداسة أو قَبَسٌ من إله..

بهذا، تبدو الدوغماتية هي التقدُّس Santification والايديولوجيا هي التوثُّن Profanisation..

حيثُ التقدُّسُ هناك السلوكُ المنضبط

وحيث التوثُّنُ هناك التفكير الحرّ.

الانضباط سمةٌ من سمات الفكر السياسي في لبنان، وهو من مقوّمات الدوغماتية..

التفكير الحر وثنيّةٌ تلاحِقُها «محاكم التفتيش».

الدوغماتية في لبنانَ هي السائدةُ، والايديولوجيا تتلمّس بدايات الطريق.. أية ايديولوجيا؟.

### 1 ـ العقلانية Rationalisme

الفكر السياسي في لبنان مَصْدَرُه الغيبُ أو الإنفعال. الغيبُ الذي أَوْقَعَهُ في الثبوتِ والسحرِ والدوغماتية. أما الانفعالُ فقد أَوْقَعَهُ في التبدّلِ والوصولية والارتجال والعصبية.

الفكر السياسي السليم مصدره العقل. والعقلانية نظريةٌ في أصل المعارف، فالمعرفة تَصْدُرُ عن العقل، وهي تقابلُ الغيبيةَ حيث المعرفة بنت الغيب.

الفكر السياسي في لبنان قائمٌ على التسليم بحقائق غيبية لا تردّ، في حين أن الفكر السياسي العقلاني يجعل كلّ الحقائق، بما فيها الحقائق الايمانية، قابلة للتحليل والتعليل، للقبول وللرفض.. إنّ عقلنة الفكر السياسي تتجاوز كلّ الممنوعات والمحرّمات أي كلّ ما هو غير مسموح التفكير فيه «L'Impensé»... لا حقائق فوق الزمن ولا حقائق معزولةً عن الواقع المتغيّر وممنوع على العقل أن يتبصّر فيها. الفكر السياسي العقلاني نقيض الدوغماتية والإطلاقية «absolutisme»..

إنّ للعقل شأناً كبيراً في حلّ المسائل السياسية

وهو ليس فقط، أداةً في التفكير النظري إنه حياتي وعملي وينخرط في الفعل. الفكر السياسي العقلاني علمي وعملي في آن.. وهو فكرٌ تحليلي analytique وتفكيكي déconstructif، يفكّك العناصر والمعطيات ويحلّلها ويعيد تركيبها في سياق رؤيةٍ سياسية متكاملة.. ومن شروط الفكر السياسي التحليلي التعقّب، أي التوصّل إلى معرفة الأشياء في اصالتها وليس في مظاهرها.. ومن شروطه كذلك الاستدراج induction والتعليل الدقيق justification فالتعليل هو تتابعٌ منطقي لمجموعة أحكام، يؤدّي إلى يقين مُبْرَم..

## 2 ـ الاستباقية Prospective - Anticipation

الفكر السياسي الناجح هو فكر استباقي، ينتقل تلقائياً من الجزئي إلى الكلّي.. ويلتقط المعاني العامة بعد التقاطه المعاني الخاصة.. ويحصل الاستباق بالحدس والاجتهاد والاستبصار.. والمستقبلية futunisme هي سمة الفكر السياسي المعاصر، وهي تدعوه إلى الخروج من المألوف والتقليد وإلى التحرّر من القيود، وإلى أن ينشط في اتجاه حوادث المستقبل الاحتمالية وذلك من خلال دراسة إمكانات الواقع وظواهر الماضي والحاضر المتعاقبة والمتوالدة.. فالاحتمال probabilité هو ضرورةٌ للفكر السياسي المتجدّد وللعمل السياسي الهادف..

الفكر السياسي الصحيح يأخذ من الفكر الأرسطي ارتكازه على الاستعلال والعقل، ومن الفكر الاشراقي ارتكازه على الذوق والكشف والحدس.

الفكر السياسي الاستباقي فكر علمي يدرس المستقبل وبخاصة الأسباب التي تدفع العالم الجديد في اتجاه التطوّر. إنه فكرٌ ارتقابي يحسبُ الاحتمالات في ضوء المعطيات البيئية والنفسانية والاجتماعية، وهو فكرٌ توليفي إجمالي يتناول الحالات العامة..

الاستباقية هي علم في خدمة رجال الدولة الذين عليهم أن يستبقوا المستقبل في ضوء الاختبارات الماضية..

## 3 ـ الإقناع Persuation

الفكر السياسي في لبنان يجب أن يكونَ فكراً إقناعياً، عمادُه البرهانُ والشرحُ والإيضاحُ والتعديلُ والمراجعةُ والنقدُ الذاتي ووسيلتُه الحوارُ الهادىء والعقلاني. لا يعرف الفكر السياسي في لبنان وسائلَ التنوير والإضاءة. وهو إذا لان أحياناً أمامَ ضغط الناس فلكي يعودَ ويلتفَّ عليهم بصورةٍ أشدَّ شراسةً وَمَكْراً. متى خالفَه الرأيُ العام أو الوعيُ الشعبي فهو قاصر، ومن واجب «الفكر القائد» أن ينوبَ عنه في تحديد خياره!! ومتى كان معه فهو راشدٌ وَمُكْتَمِل ومُصيبٌ في خياره!! هكذا بكلّ بلادةٍ وتفاهةٍ وصَلَفٍ يبني الفكرُ السياسي السائدُ علاقَتَه بالرأي العام..

إن وسائلَ الإعلام تخلّت عن دورها ـ الدعاية والإقناع ـ بأسلوب حواري ومنطقي وموضوعي، واتخذت لها دوراً إكراهياً هادفاً إلى غَسْلِ الأدمغة والتأثيرِ المُبَرْمَج بوسائل إغراءٍ واستثارةِ غرائز وعصبيات.. الخطاب الإعلامي، عندنا، هو خطاب تعسّفي وتسلّطي وعنفي، وهو يخدم الدوغماتية الشوفينية..

ما درجة التخاطب الموضوعي بين الناس في لبنان؟!

التخاطب الموضوعي هو وسيلة عبور في اتجاه الآخر.. والكلام السياسي بين الناس هو النمط الموضوعي الوحيد للتعامل فيما بينهم، محوره احترام الآخر وحفظ حقّه كاملاً في أن يكون له كلامٌ مغاير.. وحده الفكر السياسي العقلاني قادرٌ على الدخول في هذه اللعبة الشريفة.. فالكلام هو وسيلة المطارحة الفكرية وتبادل الآراء وهو القاعدة الذهبية التي تقوم عليها العلاقات بين البشر..

## 4 ـ المبادرة

الفكر السياسي السليم لا يعرف الخوف. يتحرّك واثقاً من حقّه في التحرّك بحرية وحزم وإخلاص لقضاياه، ويعبّر التعبير الصريح عن ذاته ويكاشف من غير مهادنة أو مراوغة أو ممالأة.. والجرأة في الفكر السياسي تحثّ على المبادرة. ومن سِمات الفكر السياسي الجريء الصلابة والمبدئية..

الفكر السياسي في لبنان مصابٌ بالتخاذل أو فقد الارادة aboulie. إنه معدوم الارادة وهو في عجز دائم عنها، وهو، تالياً، عاجزٌ عن أخذ المبادرة. إنه فكرٌ إتباعي مكبوتٌ ومنحبسٌ ومتقلّب.. لاأدري ومتمنّع عن التساؤل والإجابة.. ينعدم فيه المحرّك لمواجهة المسألية الفكرية والعملية..

ماذا يجب أن أفعل؟ يبدو سؤالاً غريباً وغير مطروح بل غير مرغوب في طرحه. هذا السؤال ينمّي المبادرات ويدفع إليها وينشّط دينامية السائل ووعيه، يحدوه على المجادلة والسجال ويخرّج أحكامه.. ويوفّر له، تالياً، القدرة على الفعل..

الفكر السياسي في لبنان تتحكّم به آليةُ ردود الفعل.. والكثيرُ من نشاطه هو مجرّدُ ردِّ فعلٍ في وجهِ المثيرات الخارجية، ولهذا يبقى في حدود الغريزة أو الميل، ولا يرتفع إلى مستوى القرار والمبادرة.

بين الميل والقرار، أرى الفكر السياسي في لبنان حبيسَ الدائرة الأولى. لهذا فهو سَهْلُ الإرتهانِ والاستلابِ أو الاغتيار aliénation أو الانسياق والتبعية suivisme.. وهو لا يعرف المقاييسَ السليمة في تحديدِ علاقته بالآخرين.. فالسياسةُ الخارجية مثلاً تقوم على الإرادة أو القرار ولا تقوم على الميول. إنها فعلٌ إرادي مرتكزٌ إلى مقاييسَ سليمةٍ وليست ميلاً لهذا الطرفِ أو ذاك، لهذهِ الدولة أو تلك.. ماذا اكتسبَ بعض اللبنانيين من سياستهم الخارجيةِ التي تحكّمت بها نظريةُ «الأم الحنون»؟!

المبادرةُ تَصْنَعُ الحدثَ، وتتّقي شرَّه أو تَفيدُ منه إنْ لم يكن من صنعها.. الفكر السياسي في لبنان عديمُ الفعل، يتقبّلُ قَدَرَه بفراغ ذاتي، يدعو إلى الشفقة.. أين موقعُه من كلّ الأحداث الجارية في المنطقة والعالم؟

أين موقعه، مثلاً، من المفاوضات العربية ـ الإسرائيلية؟

أين موقعه من التحوّلات التي طرأت على العلاقات الدولية بعد سقوط الاتحاد السوفياتي؟

إننا ندرك أنه عديمُ الفعل فيها، ولكن أين موقفه منها وكيف؟!

إن تعاملَه مع الآخرين، أشقّاءَ وأصدقاء، يُبْنى على أساس أنه «القريب الفقير» (parent pauvre)..

أيُّ فكر سياسي هو هذا الذي يَرْهَنُ مستقبل بنيه بالمساعدات الخارجية؟!

باختصار أقول: الفكرُ السياسي في لبنان فكر قَبُولي Réceptif والقبولية Receptivité حالة يَسْهُلُ فيها على الانسانِ قبولُ الانقياد للآخرين والتأثّرُ بهم، وهي نقيضُ الفعالية Eficacité، إنها حالة إنعدام الممانعة..

من شروط المبادرة، التواصل Communication. الفكر السياسي الصحيح يتمتّع بدينامية خاصّة تجعلُه قادراً على التعامل مع الآخرين من موقعِ الاستقلال الذاتي Autonomie ووفقاً لقوانينه ومبادئه الخاصّة. فالقوانين والمبادىء الخاصة تحقّق له الحرّية وتوفّر له المَنْعةَ بَغْيَةَ أن يؤدّيَ دورَه بوعي ومسؤولية.

## 5 ـ المسؤولية

الفكر السياسي في لبنان يفتقرُ إلى روح المسؤولية، فهو ليس مسؤولاً عن أفعاله، يتنكّر لها أحياناً، وهو إذا اعترف بها، فلا يتَقَبَّلُ عواقبَها وما يترتّب عليها من حساب:

إنّه يحاول، مثلاً في مسألة التهجير والقتل على الهوية، أن يُقْنِعَ بأنه لم يُرِد هذا الفعل أو ذاكَ، ولم يَقُمْ به بنفسه بل قامَ به من غير أن يريدَه، ولم يكن ممكناً أن يتجنّبه. . كلّ هذا بغية أن ينفيَ عنه أيةَ مسؤولية. .

الفكر السياسي في لبنان لم يَعْرِفْ أحكامَ المسؤولية المدنية أو الجزائية، وهو، تحديداً، وهذا هو المهم في رأينا، لم يعرف المسؤوليةَ الأدبية أو الخُلُقية. . إنه يتحرّك خارجَ القوانين الوضعية والاجتماعية والخلقية وخارجَ الضوابط العقلية ويدّعي أنه مُكْرَه في أعماله. . والمسؤوليةُ تنتفي حيث تنتفي الحرية. .

## الفكر السياسي المسؤول فكرٌ ملتزم.

الفكر السياسي في لبنان يدّعي أنه ملتزم أما الممارسُة فتثبت خلافَ ذلك. تَعَهُّدَ القيامَ بواجبات، أمام الشعب، ولَه في كلّ يوم شعارٌ زائفٌ وفي كلّ مناسبةٍ قضيّةٌ مفتعلة.

الفكر السياسي المسؤول فكرٌ صادقٌ ومخلص.

الأمانةُ والوفاءُ هما من المفردات الغريبة عن طبيعة تصرّفه في لبنان، كذلك الصدقُ والمبدئيةُ والإخلاص. دوافعه إلى الالتزام ليست بريئةً ونزيهة، وليست وليدةَ الاقتناع بعدالة القضيّة. المنفعةُ والاستغلالُ وتأمينُ المصالح هي العناوين البارزةُ في ممارساته. إنّهُ لم يعرفِ الولاء الثابتَ لقضيّة ما بقناعةٍ ومبدئية. . القناعة بالمسؤوليةِ أو بالالتزام هي قانونٌ صارمٌ يَضَعُهُ الإنسانُ بنفسه ولنفسه وهذا ما يُعْرَف «بأخلاق الواجب» (الديونطولوجيا).

## 6 ـ الإنسوية (humanisme) أو الإنسانوية

الفكر السياسي في لبنان لا ينظر إلى الإنسان كونه إمكانَ تطوّر وقدرةٍ عليه. لا ينظرُ إليه كونه صاحبَ حرية وكرامة وحقّ في السعادة. ولا يُدْرِكُ أنه هو المسؤول (أي الفكر السياسي) عن تلبيةِ كلّ الحاجات التي تساعدُه على تحقيقِ إمكانِه وإثباتِ قدرتِه وبلوغِ سعادته.

الإنسان هو مركز النشاط الكوني وغايتُه.

أما في لبنانَ فالفكر السياسي السائد يقوم على مبدأ «الإنسان الضحيّة»، إنسانِ الشهادة، الذي يجوز عليه كلُّ اضطهاد وظلمٍ وتجهيل وتسخير. .

الفكر السياسي الإنسانوي يعترف، صراحةً وعملاً، بكرامة الإنسان وواجبِ احترامه.واحترامُ الإنسان أفهومٌ ينطوي على العدالةِ والمساواةِ في الحقوق والواجبات وتلبيةِ ضرورات الحياة الكريمةِ وتأمينِ الحرية وإنهاءِ العَنْفِ والظلمِ والاستغلال والتفاوتَ الاجتماعي وتطويرِ علاقات التعاون والتواثقِ بين أبناء المجتمع.

الفكر السياسي الإنسانوي عمادُه الثقة.

أما في لبنانَ فهو يقومُ على فكرةِ الخوف من الآخر والتشكيكِ به واتهامِه بالخيانة. إنه فكرٌ عِدْواني وتدميري، احتكاري وتسلُّطي، وهو لا يعترف بأنّ الأخَرَ هو مشاركٌ في قضيّة عامة، ولا يعترف له، تالياً، بأهلية القيادةِ أو الجدارة في تحمّل المسؤوليات الوطنية. . فهو يُشّكِكُ بافعاله وينفي عنه الأمانةَ والوفاءَ، وهو منه في حال ارتياب دائم. . فالآخر لا يُؤْتَمَنُ على قضية!!. .

إنه فكرٌ تسيّره فكرة التكاذب والخِداع المتبادل والقرصنة. . الشعور بعدمِ الثقة هو شعورٌ متبادَل. . لهذا تعذر على الدولة أن تقومَ، وتعذّر على المشاريع المشتركة أن تنجحَ، وتعذّر على الاتفاقات أن تدوم.

الفكر السياسي في لبنان تَنْقُصه فكرة التضامن (Solidarité). إنه فكرٌ يتجاهل وجودَ مصالحَ مشتركةٍ وضرورةَ تحقيقِ أهدافٍ مشتركة. التضامُنُ في مراحل التأسيس (تأسيس المصالحة وإعادة تكوين الدولة) هو فكرةٌ وموقفٌ يَسْمُوان فوقَ كلّ الأفكار والمواقف.

فالتضامن يُسْقِطُ أشكال التفكير الفئوي ويقدّم المصلحةَ العامة على كلّ المصالح، ويجعل الموقفَ الوطني قبل كلّ المواقف. . والتضامُنُ فكرةٌ تفرضها ضرورات موضوعيةٌ في مراحلَ تاريخيةٍ معيّنة. (مرحلة الخوف من السقوط أو الانهيار العام والشامل). فالعملُ المشتركُ وحدَه المنقذُ في مثل هذه الحالات. والتضامُنُ الوطني يشكّلُ قاعدة الوعي السياسي ومعيارُه عندما يكون الشعب في محنة. .

الفكر السياسي الإنسانوي يقوم على فكرة التسامح (Tolérance) والتسامُح السياسي يَقْبَلُ وسائل التفكير والعمل التي تختلف من فردٍ إلى فرد أو من جماعة إلى جماعة. إنه يتركُ لكلّ فرد أو جماعة حرية التفكير والممارسة. . إنه مبدأٌ أخلاقي يرتبط بالاحترام، وهو، تالياً، مبدأ عملي يرتبطٌ بالذكاء وحسنِ التصرّف، والإفادةِ من الحوار مع التفكير والممارسةِ اللّذيْن يختلفان عمّا لدينا.

والتسامح السياسي يُقِرُّ بالمعارضة السياسية الشرعية داخلَ السلطة وخارجَها؛ وهو يفرضُ أن تكون العلاقةُ مع المعارضة علاقةَ تحاور؛ وهو يقضي، تالياً، على مختلف أشكالِ العنْفِ السياسي والجريمةِ السياسية؛ وهو مبدأٌ يقوم على الاعتراف بحقّ الجميع في المساواة بدون تمييزٍ لجهةِ إبداءِ وجهةِ نظرهم في المسائل العامة.

التسامحُ السياسي يُقيمُ التفاهم وتوافق المصالح والآراء بدون اللجوء إلى العنف. . المصالحُ والآراءُ متصادمةٌ باستمرار في المجتمعات المنقسمةِ طبقاتٍ وأقواماً وطوائفَ دينية. .

والنزاعاتُ هي من واقعِ المجتمعاتِ السياسية. . المسألةُ ليست هنا، إنها في صِيَغ الحلول وفي الوسائل الآيلة إليها. .

المجتمعُ التناحري يقوم على التناقضات، ولكنّ سيادةَ الفكر السياسي المتسامحِ تُلَطِّفُ حِدَّتَها إلى حدود الإلغاء.

والتسامحُ السياسي لا يعني السكوتَ عن المظالم، «فالساكت عن الحقّ شيطانٌ أخرس». الاحتجاج السياسي حقّ مشروع وهو نقيضُ الخضوعِ والإذعانِ للسلطة الظالمة. . فالتسامح السياسي، إذاً، لا يَعني سوى أسلوبِ الاحتجاج وطرقِ حلّ الخلافات الاجتماعية والفكرية ولا علاقة له إطلاقاً بتدجين الناس. . إنه وسيلة إيثار الإقناع على الاكراه. .

تلك كانت مجموعة توصيفات ومصطلحات أجد فيها مرتكزاتٍ أساسيةً يقوم عليها فكرٌ سياسي متقدّم على كلّ الأفكار والمعتقدات التي «أدلجت» للحرب غاياتِها وسوّغت للناس خطابها ونظّمت لهم وسائلَها «وشَرْعَنَتْ» أفعالها وروّجت بينهم مفرداتٍ بدائةَ ومسلّمات.

أفكارنا لا تؤلّف منظومةً فكرية درجنا على تسميتها إيديولوجيا؛ إنما هي دعوةٌ سياسية منبثقةٌ من ضرورات المرحلة التي تبحث عن آليةِ تحوّل من الحرب إلى السلام؛ وهي دعوةٌ إلى صياغة فكر سياسي قادر على تأسيس حركة سياسية تغييرية تواكب التحوّلات العميقة الحاصلة في غير موقع من لبنان والمنطقةِ والعالم. .